

الحاجة إلى الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية في المجال المدرسي

يوسفى حدة

قسم علم الاجتماع- المركزي الجامعي الطارف

مقدمة:

تعتبر المدرسة إحدى المنظمات الاجتماعية التي أنشأها المجتمع لتقابل حاجاته الأساسية سواء أكانت تربية أو نفسية أو اجتماعية، التي عجزت الأسرة، بعد أن تعقدت الحياة وزادت المعارف والخبرات الإنسانية، عن تأدية رسالتها على الوجه الأكمل، ولذلك تغيرت وظيفة المدرسة من نقل المعارف والمعلومات إلى وظائف أكثر تنوعا واختلافا، نذكر منها على سبيل المثال التنشئة الاجتماعية، الضبط الاجتماعي، نقل وحفظ الثقافة والتراث، إعداد المواطن الصالح، إعداد القوى العاملة... الخ.

ولكي تصبح المدرسة قادرة على تأدية هذه الوظائف وغيرها لا بد من تضافر الجهود من المدرسين والمشرفين والعاملين والأخصائيين لاستثمار الطاقات البشرية من أجل النمو والتطور، ولما كان الاستثمار في ميدان التعليم من أكثر الاستثمارات تحقيقا للربح فقد أصبح من الضروري توفير كل الطاقات والجهود للرفع من كفاءته، ولا يأتي ذلك إلا بالاهتمام بالمشكلات التي يعانيها المتعلم داخل هذا الوسط وفهم حاجاته والعمل على حلها وإيجاد الظروف المناسبة لنجاح الفعل التعليمي.

ولقد انتبعت الدول المتقدمة إلى هذا منذ أمد بعيد، وأدركت أن الاهتمام بالتلميذ والمدرس والمدرسة بصفة عامة، والعمل على إيجاد الظروف المناسبة لتؤدي هذه الأخيرة مهامها وأدوارها على شكل أفضل، ويقوم على إدخال بعض المهن إلى المجال المدرسي ومن بينها الخدمة الاجتماعية والنفسية والطبية، إيماننا منهم بأنه قد يعترض طريق بعض التلاميذ مشكلات وعقبات تحول دون تلاؤمهم وانسجامهم ومن الاستفادة من الفرص التعليمية والترفيهية المتوافرة.

وهذه المشكلات والعقبات كثيرا ما تقع خارج وظيفة المدرس الذي يعجز عن مساعدة هؤلاء التلاميذ في التغلب عليها مهما توافر لديه من المهارات والتدريب الخاص، لأن طبيعة المساعدة التي تتطلبها هذه الحالات قد تتعارض مع تأدية المدرس لوظيفته الأساسية على الوجه الأكمل،

لذلك أصبح من الضروري أن يضاف إلى فريق العمل بالمدرسة فهو مكملة لجهود المدرس ألا وهي جهود الأخصائي الاجتماعي المدرسي فمثلا نجد إدخال مهن الخدمة الاجتماعية إلى المدارس في الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1906-1907، وفي مصر 1946، ونظرا لأهمية المساعدة التي يقدمها الأخصائي الاجتماعي المدرسي فقد عملت جميع المنظومات التربوية العالمية على إدراج هذه المهن ضمن هيكلتها لما تقدمه من خدمات جليلة للفرد وللجماعة والمجتمع بصفة عامة.

إلا أن منظومتنا التربوية تفتقر إلى خدمات هذا الأخصائي كغيرها من الخدمات المتخصصة (النفسية والاجتماعية والطبية والإرشادية) خاصة مع تعقد الحياة وتزايد معاناة المدرسة الجزائرية من الكثير من المشكلات التي تعيقها عن اللحاق بركب المدارس العالمية الحديثة التي أصبحت أداة تغيير وتطوير لأنها اهتمت بالتلميذ والمدرس وبالعامل الجاد على حل المشكلات التي تعيق تكيفهم.

وفي حين يبقى تلاميذنا ومعلمونا يئنون تحت ضغوط ومشكلات، يضيق المجال لذكرها، خاصة في الآونة الأخيرة فإن هذه الورقة ستحاول التعرض لبعض المشكلات التي يعاني منها التلميذ والمدرس وهي كما يلي:

أولاً- المشكلات المتعلقة بالتلميذ:

تختلف المشكلات التي يواجهها التلميذ داخل المدرسة منها البسيطة ومنها المعقدة، وفي المجال المدرسي نطلق عليها المشكلات الفردية المدرسية، على أساس أن هذه المشكلات تشترك في خاصية أساسية وهي أنها تعوق التلميذ عن التحصيل الدراسي والاستفادة من الفرص التعليمية المتاحة و منها:

1- **الغياب المتكرر أو التأخر بدون سبب ظاهر:** وهي مشكلة نستطيع أن نكتشفها بسهولة، ويعد الغياب المتكرر والمستمر والتأخر بدون سبب ظاهر عرض لمشكلات مختلفة يعاني منها التلميذ (مدرسية، أسرية، صحية....).

2- **التأخر الدراسي:** تعتبر مشكلة التأخر الدراسي من بين المشكلات الأكثر انتشارا بين التلاميذ في المراحل التعليمية المختلفة خاصة منها الأولى، وتنم هذه المشكلة عن عوامل وأسباب مختلفة إلا أن آثارها لا تمس التلميذ فقط بل تمتد إلى الأسرة والمدرسة والمنظومة بصفة عامة.

3- **الهروب المدرسي:** تعتبر ظاهرة الهروب المدرسي من أكثر المشكلات الملحوظة في مدارسنا، حيث تعبر هذه الظاهرة عن وجود خلل ما، فالسؤال لماذا يهرب التلميذ من المدرسة، فلو شخصنا هذه المشكلة لوجدنا لها من الأسباب ما لا يسع المقام لذكره هنا، إلا أن الهروب المدرسي يعتبر عرضا مرضيا لمشكلات ذاتية خاصة بالتلميذ أو متعلقة بالأسرة أو المدرسة أو ذات أبعاد متداخلة وتمس كل من الأسرة والمدرسة والنظام التربوي بصفة عامة.

4- **المشكلات السلوكية:** هي كل مظاهر السلوك التي لا تتفق مع الآداب العامة والقيم الأخلاقية، والمعايير الاجتماعية والإنسانية، ومن أكثر المشكلات السلوكية انتشارا بين التلاميذ: الكذب، السرقة، العنف، التدخين وتناول المخدرات، وتشير الإحصاءات التي قدمتها الهيئة الوطنية لترقية الصحة وتطوير البحث في الجزائر أن 48% من طلاب المدارس الثانوية بالعاصمة الجزائرية يتعاطون أنواعا مختلفة من المخدرات، وأكد عدد كبير من الطلاب الذين استجوبهم أعوان الهيئة المذكورة، أنهم يتناولون المخدرات داخل مؤسسات التعليم وشمل التحقيق 1544 تلميذا أكثر من نصفهم إناث ينتمون إلى 20 مدرسة ثانوية ولا يتوقف تناولها على التلاميذ في هذه المراحل وإنما حتى في مراحل أقل في الإكليات.

أما بالنسبة لظاهرة **العنف المدرسي:** فقد أصبحت الظاهرة منتشرة بصور رهيبية في كل المؤسسات التعليمية سواء بين التلاميذ أنفسهم أو بين التلاميذ والمدرسين وقد أخذ هذا العنف أشكالا وأبعادا مختلفة.

المشكلات النفسية والانفعالية: تتعدد المشكلات النفسية والانفعالية التي يعاني منها التلميذ في كل المراحل التعليمية والعمرية انطلاقا من الطفولة مرورا بالمراهقة التي نجد فيها التلميذ يعاني ألوانا من الصراعات والمشكلات مثل: الخجل، عدم الثقة بالنفس ... وغيرها، وبعض مظاهر السلوك التي قد تكون العوامل الاجتماعية من أسبابها الرئيسية.

مشكلات سوء التكيف الاجتماعي: ومنها الانطواء، الخجل، التبول اللاإرادي، الهروب، قضم الأظافر، وتظهر هذه المشكلات نتيجة اضطراب البيئة الخارجية للتلميذ وتشمل البيئة الخارجية لكل من الأسرة والمدرسة والمجتمع بوجه عام فالأسرة تزود الفرد عامة بالاستقرار النفسي وتهيئه لحياته الدراسية وللعوامل المنزلية دور في ظهور الكثير من المشكلات وسنحاول في العنصر الثاني التطرق إلى ذلك .

مشكلات وقت الفراغ: لعل من المشكلات الهامة التي تواجه التلاميذ عموماً وقت الفراغ، فالتلميذ يعيش في بيئة اجتماعية لها تقاليداً وهو يتأثر بها، والملاحظ أن بيئتنا الاجتماعية لا تخلو من التعقيد لما فيها من كثرة النواهي، وكما نعلم أن وقت الفراغ له أهمية كبيرة إذا أحسن استغلاله في تنمية شخصية التلميذ ومساعدته على النمو المتزن والملاحظ أن تلاميذنا يملئون وقت فراغهم بتافه الأمور، نظراً لغياب التوجيه والإرشاد داخل المدرسة.

المشكلات العاطفية والجنسية: يرى كثير من العلماء أن المشاكل الجنسية هي أساس العقد والصعاب التي تكتنف حياة الفرد، ويتطلب ذلك فهماً لها وصولاً إلى أسباب حدوثها وهذا لا يأتي إلى تربية جنسية يبصر بها الآباء في إطار فهم المجتمع وتنقل إلى الطفل بالتدرج ومناسبة المعلومات لمراحل العمر، فالكثير من المشكلات التي يعانيها التلاميذ في مدارسنا سببها مشكلات عاطفية وجنسية.

II - المشكلات المرتبطة بالأسرة: هناك العديد من المشكلات التي تتعلق بالأسرة إلا أنها تؤثر بشكل مباشر على التلميذ وتحد من قدرته على التعلم والتحصيل والتوافق داخل المدرسة وسنحاول ذكر بعضها:

الظروف الاقتصادية والاجتماعية للأسرة: وحيث أن حد الإشباع الاقتصادي تعتبر مسألة نسبية، فنحن نعني بالمشكلات الاقتصادية ذات التأثير على المجال المدرسي كعدم القدرة على سداد المصاريف الدراسية أو الظهور بالمظهر الغير المناسب من حيث الملابس أو الذي ينتج عنها بعض أنواع الحرمان التي تؤثر على السلوك والتكيف داخل المدرسة.

العلاقات الوالدية والجو المنزلي: إن طبيعة العلاقة السائدة بين الوالدين لها الأثر الكبير على التكيف النفسي للتلميذ، وبالتالي فالعلاقات التي يسودها الشجار والمشاحنات، واستبداد الأولياء والتفرقة في المعاملة بين الأبناء، والأساليب السلبية في التنشئة الاجتماعية وعدم تقدير مطالب التلميذ وانفعالاته وغير ذلك مما يكون سبباً في بعث جو من القلق والاضطراب الذي يؤثر على حياته المدرسية.

إن معاناة التلاميذ من مختلف المشكلات أمر واقع ومؤلم، إلا أن المؤلم أكثر غياب المساعدة النفسية والاجتماعية المنظمة والعلمية والتي تتمثل في جهود الأخصائي الاجتماعي

المدرسي، والسؤال المطروح من هو هذا الأخصائي وما هي أدواره وكيف يقوم بخدمة التلميذ وممارسة هذه المهمة في المجال المدرسي؟

إن أخصائي الخدمة الاجتماعية المدرسية هو ممارس ومطبق لمبادئ وطرق الخدمة الاجتماعية في المؤسسات التعليمية من أجل تحقيق أهداف هذه المؤسسات التي تتمثل في إتاحة الفرص المناسبة أمام التلاميذ للتعليم والتعلم.

وبذلك فإن الأخصائي يبذل مجموعة من الجهود والخدمات ويقدم البرامج التي يهيئها لأطفال المدارس لتحقيق أهداف التربية الحديثة، أي تنمية شخصيات التلاميذ إلى أقصى حد وذلك بالمساعدة على الاستفادة من الفرص والخبرات المدرسية إلى أقصى حد تسمح به قدراتهم واستعداداتهم المختلفة ولا يتوقف عمل الأخصائي الاجتماعي عند هذا الحد وإنما يهتم بالمجتمع المدرسي كوحدة متكاملة من التلاميذ وهيئة التدريس وأيضا يهتم بالعلاقات الثلاثية (التلميذ، المدرسة، المنزل) وفي ضوء ذلك حدد بعض الباحثين أدوار الأخصائي الاجتماعي فيما يلي:

1- تحديد وتعيين التلاميذ ذوي الحاجات الخاصة: ومن أمثلة هؤلاء الأطفال الذين يحتاجون إلى خدمات الخدمة الاجتماعية الأطفال الذين يغيبون بصفة متكررة والذين ينقطعون عن الدراسة والذين يتعرضون للإيذاء البدني يصبحون في حاجة شديدة إلى الجماعات والعلاقات التي توفر لهم الرعاية في البيئة المدرسية، والمهمة الأساسية للأخصائي الاجتماعي المدرسي في هذه الحالات تتمثل في فهم خصائص هؤلاء الأطفال في تفاعلهم مع متطلبات وظروف بيئتهم (المدرسية، المنزلية، المجتمعية).

2- توسيع الخدمات للتلاميذ : إن المساعدة التي يقدمها الأخصائي الاجتماعي قد تأخذ شكل خدمة الفرد الاجتماعية التي تمارس مع التلاميذ كأفراد، وخدمة الجماعة مع مجموعات التلاميذ في المدرسة وتشمل هذه الخدمة ما يلي:

- مساعدة التلاميذ على تنمية وتطوير أهدافهم وتنمية شخصياتهم وفهم قدراتهم ومساعدتهم على تنمية هذه القدرات وتحقيق مصالحهم.

-تقديم المساندة العاطفية عن طريق الطمأنينة والثقة والصدقة التي يكون التلاميذ قد فقدوها.

-تفسير سياسة المدرسة وطبيعة السلطات المدرسية .

-مساعدة التلميذ على تعديل السلوك الغير التكيفي الذي يتعارض مع تعلمهم .
-مساعدة التلاميذ على اكتشاف الطرق التي يعالجون بها مشكلاتهم سواء التي تتعلق بحياتهم اليومية أو التي تتعلق بتوجيه شؤون مستقبلهم.

3- **العمل مع العاملين في المدرسة:** تختلف الأدوار التي يقدمها الأخصائي للعاملين في المدرسة لصالح التلاميذ ومنها:

-توفير المعلومات المناسبة عن تلميذ معين أو موقف إشكالي معين عامة بما يساعد على تحسين العلاقة بين التلميذ والمدرسين .

- التشاور مع المدرسين حول العلاقات داخل الفصل وكيفية تحفيز التلاميذ على التعلم.
- التشاور مع المدير حول أعراض وأسباب مشكلات التلاميذ ومحاولة إيجاد سبيل الرعاية المناسبة.

- التشاور مع المتخصصين الآخرين (نفسيين، أطباء) لصياغة وتنسيق العلاج المتكامل للتلميذ.

- العمل على تنمية علاقات العمل بين العاملين داخل المدرسة وبين المدرسة وغيرها من المنظمات.

4- **العمل مع الآباء:** إن استمرار الصلة والعلاقة بين المدرسة والبيت من المسؤولية الأساسية للأخصائي الاجتماعي، وتبدو أهمية هذه العلاقة في استثمارها لصالح التلميذ كزيارة الأبوين للعمل على زيادة اهتمامهم بحياة التلميذ المدرسية، وتوضيح مشكلات أبنائهم التي تعوق تكيفهم أو التخطيط للاجتماعات التعليمية مع جماعات الآباء وتوجيههم لزيادة معرفتهم بنمو أبنائهم وأدوارهم كأباء وحثهم على الاهتمام بأطفالهم ومشكلاتهم المدرسية.

5- **الخدمات المجتمعية:** إن من مهام الأخصائي الاجتماعي المدرسي أيضا مساعدة أسر التلاميذ على استخدام الموارد المجتمعية المتاحة والتي يحتاج إلى هؤلاء التلاميذ، كما يقوم بتقديم المعلومات إلى الآباء حول منظمات الرعاية الصحية والعقلية كما يقوم بتوجيه الآباء إلى المنظمات وإيجاد الصلة والعلاقة بين الأسرة ومنظمات المجتمع، وهذا يعني أن يوجه الأسرة نحو موارد المجتمع وخدماته.

6- التخطيط التعليمي للأطفال المعاقين: بالإضافة إلى ما سبق يقوم الأخصائي الاجتماعي بالاشتراك مع بقية الأخصائيين لوضع وصياغة الخطط التعليمية للأطفال المعاقين. وللخدمة الاجتماعية أهداف نلخصها فيما يلي:

1- إعداد التلاميذ اجتماعيا ونفسيا للإفادة من العملية التعليمية بكل كافة ما يعانونه من مشكلات.

2- مساعدة التلاميذ على النمو والتغيير والوصول إلى أكثر قدر ممكن من الاعتماد على النفس.

3- خلق علاقات اجتماعية سليمة بين التلاميذ بعضهم البعض وبين العاملين في المدرسة.

4- مساعدة المدرسة على نشر خدماتها في المنطقة التي توجد فيها لكي تعتبر مركز إشعاعي.

5- مساعدة المجتمع الذي توجد فيه المدرسة على تدعيمها وإفادتها بما يتوفر فيه من إمكانيات.

6- العمل على إيجاد ترابط وتفاهم قوي بين المنزل والمدرسة.

وتمر ممارسة الأخصائي الاجتماعي لخدمة الفرد مع التلميذ في المجال المدرسي بثلاث عمليات:

- الدراسة - التشخيص - العلاج، وهذه العمليات متداخلة إذ أن ممارسة كل عملية تتضمن العمليتين الأخرتين.

أ- الدراسة: وهي العملية التي تساعد على وقوف كل من الأخصائي والتلميذ والأولياء على الحقائق التي تتعلق بمشكلة التلميذ، سواء كانت هذه الحقائق تتصل بشخصية التلميذ أو بالبيئة الأسرية والمدرسية والبيئة الخارجية الأخرى، وهذا يعني أن عملية الدراسة ليست مجرد عملية جمع معلومات بل أنها تهدف إلى معرفة وتفسير المشكلة التي يعاني منها التلميذ ويتطلب ذلك الوقوف على شخصية التلميذ والعناصر البيئية التي يتفاعل معها كالأسرة بكل متغيراتها والأقران والمدرسة بكل متغيراتها (العلاقات، أساليب الضبط، أوجه النشاط....).

ب- التشخيص: التشخيص الاجتماعي هي العملية المهنية التي ترتبط بعملية الدراسة وتعتمد عليها وتمهد لعملية العلاج، ويعرف الباحثون التشخيص الاجتماعي، بأنه فهم لطبيعة

المشكلة وتفسيرها في ضوء العوامل الشخصية والبيئية التي لعبت دورا هاما في إنتاجها وربطها بأهداف العمل مع اعتبار وسائل العمل والأخصائي والمؤسسة في علاج هذه المشكلة، فإذا كانت الدراسة تنصب على كل ما هو محتمل أن يكون سببا أو عاملا من عوامل حدوث المشكلة، فإن التشخيص يركز فقط على العوامل التي أدت فعلا للمشكلة مع توضيح كيف تفاعلت هذه العوامل، حتى أصبحت الحالة كما هي الآن مع تقييم هذه العوامل لإبراز أكثر العوامل تداخلا وتأثيرا في المشكلة حتى يمكن أن يساعد ذلك الأخصائي في توجيه الجهود العلاجية أولا نحو هذه العوامل للقضاء عليها أو الحد من تأثيرها أو تجميدها.

ج-العلاج: يقصد بالعلاج عمليات التغيير المقصودة في جوانب شخصية التلميذ وفي بيئته سواء كان هذا التغيير جزئيا أو كليا بهدف تحسين وظيفة التلميذ الاجتماعية في المجتمع وذلك بالاعتماد على قدرات التلميذ وإمكانيات البيئة، ورغم أن لكل مشكلة التي يتعرض لها التلميذ نوعين من العلاج أحدهما ذاتي والآخر بيئي، ويتحدد نوع العلاج ومقداره بنوع العوامل التي أدت إلى حدوث المشكلة فإذا كانت ترجع إلى عوامل ذاتية أكثر منها بيئية فإن ذلك يتطلب التركيز على العلاج الذاتي أكثر من البيئي والعكس صحيح.

الخلاصة: من خلال ما سبق يتضح الدور الهام للممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية داخل المدرسة فالخدمة الاجتماعية كغيرها من المهن التي يحتاج إليها قطاع التعليم كالتعليم كالتربية والتمريض....ولكن بكل أسف نسجل غياب العديد منها في منظومتنا التربوية مما يجعل التلاميذ والعاملين في المدرسة يتعرضون لمشكلات لا تجد حلا في ظل الغياب الكامل للخدمة الاجتماعية والنفسية سواء داخل المدرسة أو خارجها.

قائمة المراجع:

- 1- أحمد مصطفى خاطر ومحمد بهجت حاد الله كشك، الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية في المجال التعليمي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 1999.
- 2- أحمد مصطفى خاطر، الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998.
- 3- أحمد مصطفى خاطر، الخدمة الاجتماعية، مناهج الممارسة مجالات العمل، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 2003.
- 4- السيد عبد الحميد عطية، سناء حافظ بدوي، الخدمة الاجتماعية ومجالاتها التطبيقية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998.

5- مريم الأشقر، دور الأخصائي الاجتماعي المدرسي، منتديات العلوم الاجتماعية،
www.swmsa .com يوم 2003/12/31.

6- يوسف على يوسف وأحمد سيد هلال، أهداف الخدمة الاجتماعية المدرسية،
www.moe.edu.kw/schools/ بدون تاريخ.